

المحاضرة رقم 04: إنشاء المتاحف.

د.بن زغادي

1- مفهوم المتحف.

2- شروط اختيار موقع المتحف.

3- الأقسام النموذجية لعمارة المتحف.

4- الحفظ الوقائي في المتاحف.

تمهيد:

تعتبر المتاحف أحد أهم النقاط الأساسية في عملية تسيير واستغلال المكتشفات باعتبارها همزة وصل بين التحف وأفراد المجتمع، وأحد أهم الوسائل التثقيفية التي من شأنها تفعيل الدور الثقافي لموروثنا المادي على إختلافه، فضلاً عن كونه يثمن اللقى الأثرية ويدر مدخولا يرجع عليها بالفائدة.

1- مفهوم المتحف:

1-أ لغة: يرجع الاشتقاق اللغوي لكلمة متحف إلى الكلمة اللاتينية Mouseion التي تعني ربّات الفنون اللائي يرعين الفنون التسع في الميثولوجيا الإغريقية، وهن: Calliope إلهة الشعر والملاحم و keleio إلهة التاريخ Euterpe إلهة العزف على المزمار، و Melpomene إلهة التراجيديا و Terpsichore إلهة الرقص، Erato إلهة العزف على الغيتارة، Polyhmnia إلهة الأناشيد المقدسة، Urania إلهة الفلك، Thalia إلهة الكوميديا.

ذكر أول مرة اسم الموزيوف Mouseion في بداية العصر البطلمي، عندما أنشأ البطالمة على يد ديمتريوس الفاليري سنة 290 ق م مؤسسة بحثية علمية عرفت باسم الموسيوف كانت تقع في الحي الملكي، وكانت هذه المؤسسة عبارة عن مبنى يشمل العديد من قاعات البحث ومكان لإقامة العلماء الذين يعكفون على البحث مقابل مرتبات سخية، وألحق بهذه المؤسسة مكتبة.

يتضح من خلال ما تمّ ذكره عن الاشتقاق اللغوي، أن لكلمة المتحف علاقة وطيدة بالفن والعلم معاً، فلجميع أسماء الآلهة التسع مجال معين في الفن والعلم الذي يختص بدراسة ماضي الإنسان، وهو ما جعل حسب تمحيصنا كلمة المتحف تطلق على مكان وجود ما له علاقة بالفن والعلم.

1-ب اصطلاحاً: يمكن تعريف المتحف أنه المبنى الذي يحتوي على ما أنجزته قريحة الإنسان في الماضي قصد عرضها ودراستها و استنباط معانيها، وفضلاً لما يقدمه من دور له أثر بالغ على نفسية جامعي ومحبي اللقى الأثرية، عرفه عالم الآثار الفرنسي جرمان بازين (German Bazin) (1901-1990)، من مؤلفاته (The Museum) أنه معبد توقف فيه الزمان، أي أنه مكان مقدس في نظره، وله ذاكرة تغوص في الماضي البعيد لدرجة أن زائرة تحس أن الزمن توقف فعلاً، لذلك أمكن القول أنه منشأة لحفظ المقتنيات وعرضها وتقييم مقتنياتها، فهو في أبسط صوره مكان تجمع وتضان فيه مجموعة من المعروضات بطرق مختلفة قصد التمتع والتعلم والفحص والدراسة.

وهناك من عرّف المتحف أنه مبنى يضم مجموعة من الآثار، يُفتح للمشاهدة والدراسة والترفيه، أي أنه مؤسسة دائمة هدفها غير مادي، إنما تعليمي وثقافي.

2-شروط اختيار موقع المتحف:

تعتبر هذه النقطة مهمة في تأدية الدور المنوط بالمتحف الذي حدّده المشرع الفرنسي في القانون الخاص بالتراث الصادر في 2018 بمابيلي:

- حفظ وترميم ودراسة المقتنيات المتحفية.
- إيصال الرسالة الحضارية التي تحملها المقتنيات المتحفية بعد استنباط معانيها إلى أفراد المجتمع والسائحين.
- القيام بنشاطات مدرسية مخصّصة لأطفال المدارس، وتسهيل دخولهم وتعرفهم على أجنحة المتحف وما تزخر به من مقتنيات.
- المشاركة والقيام بالتظاهرات العلمية الثقافية لنشر المادة العلمية الأثرية وقيمها المميزة لها.

- وفيما يخص شروط اختيار الموقع، وحتى تؤدَّى الوظيفة المتحفية على أكمل وجه، فقد أوصى المجلس الدولي للمتاحف (The International Council Of Museum (iccom) بالنقاط التالية:
- أن يكون غير معزول وسهل الوصول الزوار، وأيضا للعاملين فيه، وغير قريب من المناطق الصناعية ومحطات المسافرين أين تكثر الضوضاء.
 - أن يكون قريباً من مراكز الأمن والحماية المدنية لتسهيل عمليات التدخل في حالة وقوع سرقة أو حريق.
 - أن لا تكون أرضية عرضة لحدوث الكوارث الطبيعية كالانزلاقات الأرضية والفيضانات الموسمية وتضاف إلى كل هذه الشروط أربعة نقاط أساسية:
 - التأكد من سلامة وصلاحية المبنى من الناحية المعمارية، أي أنه غير مهدد في الوقت الراهن بالانهيار المفاجئ أو المحتمل على فترة زمنية قصيرة.
 - أن يكون مخطط توزيعه الداخلي متماسكاً مع الوظيفة المتحفية.
 - التأكد من أن نفقات التهيئة المنجزة بداخله أقل كلفة من كلفة إنجاز متحف جديد.
 - اتساع مساحة استيعاب مختلف أجنحة الأقسام المتحف الجديد.

3- الأقسام النموذجية لعمارة المتحف:

تقدم عمارة المتحف دوراً بالغاً الأهمية في حفظ المجموعات المتحفية المتنوعة، ولذلك تنفرد بخصائص متميزة لا تتوفر عليها بقية المباني العمومية ذات التردد الكبير للجمهور، حيث يشترط في عمارة المتحف توفرها على أقسام معمارية عديدة تتماشى مع الوظائف الأساسية للمتحف، والمتمثلة على وجه الخصوص في دراسة اللقى دراسة مخبرية وصيانتها بشكل دوري، وعرضها كتحف فنية، ومن ثم كانت لهذه العمارة تدابير احتياطية ضد مخاطر السرقة المحتملة والحرائق المباشرة والفيضانات وأعمال التخريب والإتلاف، مراعاة فئة المعوقين حركياً أثناء تصميم المبنى من الداخل كتجنب وضع السلم واستخلافه بالمصعد الآلي أو ممرات ملساء خاصة بالكراسي المتحركة.

تجدر الإشارة أن مثل هذه التدابير لم تراعى من قبل، ولذلك التفت مجموعة من المختصين إلى هذا الأمر من بينهم بازان جيرمان الذي دعا إلى استبدال تلك العمارة بعمارة جديدة حتى ولو كانت معبداً أو قصراً يعود لفترات غابرة، وقد عبّر عن ذلك بقوله من معبد أو قصر يمكن للمتحف أداء مهامه، ونتيجة لمثل هذه الأصوات التي تعالت مطالبة الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المتطلبات، ظهر ما يعرف عمارة متحف المستشفى Musée Hôpital الذي انتشر بكثرة في هولاندا، إلا أنه سرعان ما تبينّت سلبياته الكثيرة، واضطر العاملون في المتاحف العودة إلى عمارة الأروقة الطويلة والقاعات الكبرى مع إجراء تعديلات عليها، فيما يخص التنميق الداخلي لإضفاء نوع من الجمالية في العرض، طبقت هذه العملية لأول مرة في متحف اللوفر سنة 1806، وبعد هذا التاريخ عرفت عمارة المتحف تطوراً سريعاً ومتماشياً مع متطلبات المجموعة المتحفية من جهة، وعماله من جهة ثانية، وقد ساعده في ذلك التطور التكنولوجي.

لقد أصبحت عمارة المتاحف النموذجية عموماً تنقسم في أغلبها إلى خمسة أجنحة رئيسية، كل جناح منها ينقسم بدوره إلى وحدات فرعية كالاتي:

3-1 الجناح الإداري: وهو النقطة المحورية في المتحف، ففيه تتخذ القرارات الخاصة بالمتحف ومجموعته المتحفية، وهو شبيه بالأجنحة الإدارية للإدارات العمومية الأخرى، ويشترط فيه أن لا يقل عدد مكاتبه عن ثلاث مكاتب، الأول للمدير أو محافظ المتحف، والثاني للكتابة، والثالث لمساعد المدير.

3-2 الجناح الإجتماعي: وهو عبارة عن جهة مخصصة لإيواء العمال والموظفين العاملين في أماكن بعيدة عن مقر عملهم، وستكون نقطة إيجابية لتعزيز الجانب النفسي للمتحف.

3-3 جناح الحفظ والتثمين: هو جناح خاص فقط بموظفي المتحف لا يدخله غيرهم للحفاظ قدر الإمكان على سرية المجموعة المتحف، وهو يتضمن ثلاث ورشات:

أ- ورشة الصيانة والترميم: تكون مجهزة بجميع أدوات الترميم، وتتضمن عدد من المختصين في علم الآثار أو الإعلام الآلي والكيمياء.... إلخ.

ب- مخبر الأبحاث الفيزيائية والكيميائية: وهو عبارة عن مبنى مجهز بالمعدّات للكشف عن طبيعة الأضرار الفيزيوكيميائية وغيرها التي تعاني منها التحف على اختلافها سواء العضوية والغير العضوية (كالفطريات، والصدأ والأكسدة.... إلخ).

ب- غرفة الغاز: هي عبارة عن غرفة صغيرة محكمة الغلق، تستعمل لمعالجة التحف الخشبية التي تسببت في ضررها الكائنات الحية الدقيقة.

3-4 مخبر التصوير: يكون هذا الأخير مجهز على شاكلة مخبر تصوير احترافي كاحتوائه على الغرفة السوداء لتمحيص الأفلام ونسخ الصورة.

3-5 مخزون التحف: يتميز بأكبر مساحت، يتضمن مجموعة من الرفوف والخزانات.

3-6 جناح العرض: يعتبر هذا الجناح المكان الأخير التي تصله التحف بعد خضوعها لمجموعات من العمليات التقنية لتعرض الجمهور، تتضمن مجموعة من القاعات والأروقة، وتشتت أن لا تلفت تجهيزاتها انتباه الزائر، حتى نصل إلى هدف العرض وهو تثبيت المرجعية التاريخية في فكر مشاهدي التحف وللعرض وسائل أهمها على الإطلاق الواجبة الزجاجية التي يشترط في أن تكون لها خلفية داكنة اللون.

3-7 جناح الملحقات الخدمائية: يشتمل هذا الجناح على قاعة عرض خاصة بالمناسبات المؤقتة، كأيام التظاهرات الثقافية، كما يتضمن هذا الجناح مخدع هاتفي يوضع تحت تصرف الزوار، ومقهى ومطعم صغير لتناول الوجبات السريعة، إضافة لمكتبة متخصصة يرخص للجمهور الدخول إليها، تكون مزودة بطابعة قصد نسخ الأوراق التي يحتاجها الفوج الزائر، ويكون هذا الجناح مرتبطاً بمربأ لسيارات المتحف والزائرين، وهناك عدد من المتاحف الحديثة التي تحتوي في هذا الجناح قاعة للمحاضرات مزودة بوسائل الإيضاح.

4- طرق اقتناء المجموعات المتحفية:

أخذت المقتنيات المتحفية اهتماماً كبيراً من طرف الشعوب القديمة، فقد كانت هدفا يسعى لجمعه هؤاة التحف وليزبنوا به مساكنهم الدينية والمدنية، ومع تطور الفكر الإنساني ظهرت مؤسسات عالمية

ومحلية تسهر على نشر مفهوم التحف الأثرية في خدمة الذاكرة الجماعية، وتزليل المفهوم الكلاسيكي المنحصر في الملكية الشخصية، وفي خضم هذا التغير ظهر المتحف كمؤسسة تهتم بجمع التراث وعرضه والمحافظة عليه، ويعتمد في تكوين المجموعة المتحفية على عدّة طرق، حدّدها المختصون في التنقيبات الأثرية والهدايا والشراء، نذكرها كالآتي:

أ- التنقيبات الأثرية: تعتبر هذه الأخيرة النافذة التي تُطل من خلالها على ماضي الشعوب، وذلك من خلال الشواهد الأثرية التي يتم العثور عليها، ويمكن إضافة لذلك تزويد المتاحف بمجموعة من اللقى الأثرية لتعرض على الجمهور.

ب- عن طريق الشراء: خصصت معظم متاحف لجنة تعكف على شراء التحف الأثرية لها ميزانية خاصة وهناك من يرى أن عمل هذه اللجنة فيه إخلال بالمبدأ الذي يرتكز عليه علم الآثار، وهو الاهتمام بالقيمة العلمية وغيرها بغض النظر عن ماهية ذلك الأثر.

ج- الهدايا: تعد هذه الطريقة مكسبا مهماً للمتاحف، لما لها من دور بارز في إغناء المجموعة المتحفية بجميع أنواع التحف، سواءً كانت إسلامية أو ترجع إلى فترات قبل ذلك كالفترة القديمة أو ما قبل التاريخ.

د- التبادل: تلجأ متاحف إلى هذه الطريقة عندما تشح مواردها الأثرية، وتتقطع السبل في الحصول على ما هو جديد، وذلك لما لها من أثر سلبي على التحف عند نقلها ووضعها في وسط، ربما لن يكون مماثلاً للذي كانت فيه من قبل.

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن في بعض الحالات اللجوء إلى عملية المصادرة في حالة إذا ما تعرض الأثر عند مالكه لتشوية وقلة الاهتمام كما هو مبين في القانون 04/98.